الحلم الطوباوي ومحفزاته اللغوية فى شعر طلال سعيد الجنيبي "الرباعيات نموذجاً"

*الباحثة: ليلَى صادقي نقدعلي (قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإمام الخميني الدولية، قزوين- إيران)

l_sadeghi64@yahoo.com

م. د نهى جعفر (قسم الأدب العربي، وزارة التربية ، مديرية تربية واسط)

knkoedx@gmail.com

د. رسول بلاوى (قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر- إيران)

r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الاستلام : 2021-10-12

تاريخ القبول : 2021-12-20

ملخص البحث:

الطوباوية هي انعكاس لرغبة الأديب في التطوّر والبقاء. لطوباوية الشعراء، بغض النظر عن جنسيتهم خصائص مشتركة، لأن الأدب متجذر في روح البشرية وتتشكل الخصائص الطوباوية والمثالية على أساس مبادئ الحياة البشرية. كما أنّها نتيجة لمشاعر الشاعر وانفعالاته تجاه نفسه والمجتمع، ومن ناحية أخرى، تعبر عن شعور الشاعر بالالتزام ورسالته الاجتماعية. تسعى هذه الدراسة عبر المنهج الوصفى–التحليلي، التركيز على تجليّات الحلم وطوباوية الرؤيا في رباعيات طلال الجنيبي، من خلال منهجية اعتمدت استقصاء الشواهد الشعرية وتحليلها. فدراسة مثل هذا النوع تلزم الرّبط بين كلٍّ من الحلم الطوباوي والتأمّل في عالم ما وراء الطبيعة كعنصرين متداخلين ضمن اتجاه الشاعر طلال الجنيبي.

الكلمات المفتاحية: الحلم، الرؤيا، الأمل، طوباوية الحلم، طلال الجنيبي، الرباعيات.

The Utopian of the Dream and his linguistic stimuli in TalalSaeed Al-Junaibi's Poetry "as a sample of Rubaiyat"

*Leila SadeghiNaghdeali (Departmentof Arabic Language and Literature,Imam Khomeini International University,Qazvin -Iran)

Noha Jaafar (Ministry of Education -Iraq)

RasoulBalavi (Department of Arabic language and literature, Persian Gulf University, Bushehr - Iran)

Receipt date: 2021-10-12

Date of acceptance: 2021-12-20

Abstract

Utopia is a reflection of the author's desire for progress and survival. Utopia of the poets, regardless of their nationality, has some common features due to the fact that the root of literature is in the spirit of humanity and ideal features are formed based on the principles of human life. It is also the result of poet's feelings and emotions about himself and society. On the other hand, it expresses the poet's sense of commitment and social message. This descriptive-analytical study tries to deal with the effects of dream and utopia of the dream in the quatrains of Talal Al-Junaibi, through a method that reviews and analyzes his poetic examples. This kind of study requires a connection between dream of the utopia and thinking of the supernatural world as two intertwined elements in the approach of Talal Al-Junaibi poems.

Key words: The dream, the Vision, the hope, the utopia of the dream, Talal Al-Junaibi, the Rubaiyat.

المقدمة:

الطوباوية هي مدينة يعيش مواطنوها على أكمل وجه. إن السعي وراء المُثُل وبلوغ المُثُل السامية والنقية هي إحدى الأفكار القديمة للإنسان وقد سعى إليها كثير من الناس لكنّهم لم يحققوها. ناقش العديد من المفكّرين الحياة الاجتماعية ونظام المجتمع وحلموا بتأسيس مدينة مثالية.«والأحلام كلها نتيجة الجهل البشري والضمير اللاواعي ولهذا السبب ليس لها معنى محدد ومتعمد؛ ومع ذلك، في بعض الأحيان يعبر الشعراء والكتّاب بشكل غير مباشر عن المعنى أو المعاني المقصودة يستنجدون من الحلم.»(حميدي وشاميان، ٢٠٠٥: ١١١)

«عني بالحلم في الثقافة العربية العديد من الدارسين قديماً وحديثاً فأقبلوا عليه بالتقييد ووضعوا آليات لتأطير خطابه وتوجيه تأويلاته ، ولعل مرجع ذلك ارتباط الحلم بالطبيعة البشرية.أما في الثقافات الأخرى، فإن القدماء لم يروا في الحلم نتاجاً يصدر عن النفس النائمة بل وحياً من الجانب الإلهي، حتى جاء آرسطو فجعل من الحلم موضوع بحث سيكولوجي، وذلك في الكتابين اللذين يعرض فيهما للأحلام، ويرى أن الأحلام ليست مبعوثة من الآلهة، بل هي وحي "جنية". ونتج عن وجود هذين التيارين أن ظهر من يفرق بين الأحلام الصادقة ذات القيمة، التي ترسل للنائم تحذيرا له أو تبصيرا بالمستقبل، وأخرى لا غنى فيها ماكرة معدومة القيمة.أما آرتميدوروس فقد كان يقسم الأحلام إلى طبقتين: الأولى متأثرة بالماضي أو الحاضر،ولكنّها خالية من الدلالة على المستقبل، وتشمل المنامات والخيالات المضخمة (الكابوس)، أما الطبقة الثانية فإنها تحدد المستقبل، وتشمل النبوة المباشرة والرؤيا والحلم الرمزي.» (الغامدي، ٢٠١١: ٢١)

هناك أبحاث عن الحلم والحلم الطوباوي في الأدب العربي، وهي ما يشار إليها في كتاب تحت عنوان " الحلم والرمز والأسطورة (دراسات فىالرواية و القصة القصيرة فى مصر)" لشاكر عبد الحميد (١٩٩٨م)، الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، يحاول الباحث تفسير الأحلام والرموز والأساطير الموجودة في بعض الروايات أو القصص القصيرة.ومقال منشور باللغة الفارسية تحت عنوان "تمثيل الرؤيا في الشعر الإيراني المعاصر " لجعفر حميدي وأكبر شاميان (٢٠٠٥م) في مجلة (البحوث الأدبية). يركز الباحثان في هذا المقال على رمزية الحلم في الشعر الفارسي المعاصر ويبيّنان أن رمزية الحلم هي في الأصل مأخوذة من الرحلات الخيالية للبشر في القصص الأسطورية، والتي دائماً يكون لها خلفية من الأحلام. قد عنى الشعراء والكتّاب إلى هذه الرموز بسبب طبيعتها الغامضة وتعبيرها السردي، وبسبب عالميتها فقد عدت من أفضل الروائع الأدبية في

الثقافة والأدب لمختلف الدول لقرون. ومقال "الرؤيا الشعرية ومرجعياتها عند أدونيس" لسميحة كلفالي (٢٠١٧م)، المنشور في مجلة قراءات بجامعة بسكرة.

ومقال "فضاء الشعر وحضور الحلم: من التشكيل الى التدليل قراءة في تجربة معد الجبورى الشعريّة" للباحثة عزت ملا ابراهيمي والزملاء (٢٠٢٠م)، المنشور في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية. وهذه الدراسة تسعى إلى مقاربة الحلم الذي يستغله الجبوري في أشعاره وقدرة الشاعر وبراعته في التوظيف الجمالي للفضاء الطوباوي. والحلم في شعره هو الحلم بالعودة إلى الأرض والوطن أو انتهاء الحالة المأساوية التي تعيش فيها الأرض. كما اتضح من خلال بحثنا لم يركز أيّ باحث على دراسة العلاقات القائمة بطوباويّة الحلم فى شعر طلال سعيد الجنيبي.

يسعى البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

-كيف يتجلّى حضور الحلم في شعر الجنيبي؟

- ما هي مميّزات الأحلام في شعر الشاعر؟

- ما هي الموضوعات التي تتمحور حولها طوباوية الحلم والرؤيا؟

١.مكوّنات الإطار النظري للبحث

قبل الخوض في غمار البحث لابد من الوقوف على تعريف ماهية المصطلحات وبعض التعريفات والتنظيرات فيما يخص الموضوع، وفق ما يلي ثم نشير إلى فاعلية حضور الحلم في شعر الجنيبي وتحفيزه في رباعياته.

١-١. ماهيّة الحلم والرؤية والرؤيا والأمل و التحفيز

١-١-١. ماهية الحلم

«حَلَم يحلُم إذا رأى في المنام ومنه الحلم وجمعه أحلام.وهو رؤية الشيء في المنام. قد حَلَمَ في نومه حُلماً وحُلُماً.»(ابن زكريا، ١٩٧٩: ٩٣)وأيضاً جاء في المعجمات « أن الحلم سلسلة من الصور والظواهر النفسية التي تحدث في أثناء النوم. إذا أطلقنا على الحلم تعريفاً ضيّقاً (إدراك هلوسي مشاهد غريبة وعبثية)، فإن بإمكاننا القول إن الحلم يحدث في حالة غيبوبة الوعي. وإذا أطلقنا عليه تعريفاً واسعاً (فاعلية الحالم النفسية)، فإن بوسعنا أن نقول إن الحلم يحدث في أية لحظة من لحظات

النوم. فرويد يميّز ثلاثة ضروب من الأحلام: الأحلام المفهومة، التي تذكرنا بدقة بحياتنا النفسية خلال حالة اليقظة؛ الأحلام ذات المعنى الواضح، ولكنّها التي تُدهشنا بالأفكار والعواطف التي تعبّر عنها؛ والأحلام التي تتوافق مع التصوّر المألوف للحلم بغرابتها، وعدم تماسكها، بل بعبثيتها. الحلم، بالنسبة للتحليل النفسي، إنجاز رغبة لاشعورية، من طبيعة جنسية على الأغلب، تقترن بالرغبة في النوم.»(أسعد،٢٠٠١: ٩٧٧ –٩٨٠)

يرى علماء النفس أنّ «الحلم، نوع من التخيلات مبعثها رغبة محبطة ومشكلات معلقة غير مسموحة. فيرى فرويد أن الحلم إرضاء وهمي خيالي لرغبات محبطة مكبوتة وغير مكبوتة. وإن الحلم ليس خليطاً جزافياً من أفكار وأمور ذهنية بل هو نشاط نفسي يخدم غرضنا ويؤدي وظيفة معينة في الحياة النفسية. وبالنسبة لحلم اليقظة عبارة عن تخيل لإشباع دوافعنا ورغباتنا التي لم تشبع في الواقع أما بسبب بعض العقبات وأما بسبب كبت، ففيها تزول جميع العقبات التي تعوق إشباع رغباتنا في العالم الواقعي، فنخلد إلى عالم خيالي خاص بنا وحدنا تتحقق فيه رغباتنا وأمانينا وتشبع دوافعنا وميولنا.»(صالح، ٢٠١٤: ١٤٤)«وقد تطلق الأحلام مجازاً على التصورات التي يتخيلها الإنسان في يقظته، وهي تنشأ عن نقص الانتباه للحياة، فينسى صاحبها حاضره، ويفقد صلته بالواقع، ويرتقي من تلقاء نفسه إلى عالم الوهم، ثم يهبط إلى الحضيض، وهو غير مبال بما يمكن أن يتحقق من تصوراته. وقد تطلق على الآراء البعيدة عن الواقع، كأحلام بعض الفلاسفة الذين يتخيلون حياة مثالية متماسكة أو غير متماسكة، إلا أن أحلامهم كثيراً ما تنقلب إلى حقائق.»(صليبا، ١٩٨٢: ٤٩٧)

١–١–٢. ماهية الرؤية والرؤيا

يختلف معنى الرؤية ومعنى الرؤيا ونجد هذا الاختلاف فى المعاجم اللغوية والفلسفية. هما ينتميان إلى الجذر اللغوي الواحد وهو "رأى". الرؤية في اللغة تعني النظر بالعين المجردة. وجاء في المعاجم أن الرؤية تكون في العين والقلب معاً.(ابن منظور،د.ت: مادة الرُّؤيَة)وهي «المشاهدة بالبصر، وقد يراد بها العلم مجازاً، وإذا كانت مع الإحاطة سميّت إدراكاً. وتطلق الرؤية في الفلسفة الحديثة على وظيفة حاسّة البصر. وإذا أطلقت الرؤية على المشاهد بالنفس سميّت حدساً. وقد تطلق الرؤية على مشاهدة الحقائق الإلهية، أو على المشاهدة بالوحي، أو على الإدراك بالوهم، أو المشاهدة بالخيال.»(صليبا، ١٩٨٢: ٦٠٥)والرؤيا اسم وجمعها رُؤى ومصدرها رأى وهي ما يراه الإنسان في منامه وتعني الأحلام، وهي مميزة بالألف في آخرها عن الرؤية التي تعني الإبصار في حالة اليقظة، يقال رأيته بعيني رؤية، ورأيته رأي العين، أي حيث يقع البصر عليه. (ابن

منظور،د.ت: مادة الرُّؤيَا) يراد بمصطلح (الرؤيا)، «البعد المتجاوز لكل ما هو مادي وواقعي وجزئي، فالرؤيا بهذا المعنى مرتبطة بمنطقة الحلم، تتجاوز حدود العقل وحدود الذاكرة. أما في مجال الإبداع الشعري، فإن الرؤيا «تشكل موقفا جديدا من العالم والأشياء، وهي بذلك عنصر أساس من العناصر المنتجة لدلالة القصيدة الجديدة، إلى حد أصبح فيه الشعر، عند شعراء الحداثة الشعرية ونقادها المنظرين رؤيا، أي: التقاط شعري وجداني للعالم يتجاوز الظاهر إلى الباطن، ويتجاوز حدود العقل وحدود الذاكرة والحس، ليكشف علاقات جديدة تعيد القصيدة في ضوئها ترتيب الأشياء، وخلق عوالم جديدة تنصهر فيها تجربة الشاعر باعتباره مبدعا، وتجربة المتلقي باعتباره مشاركا الشاعر في تلك التجربة.»(الحسن، ٢٠١١: موقع المثقف)

وهناك فرق بين الحلم والرؤيا وهو؛«غلبت الرؤيا على ما يراه النائم من الخير والشيء الحسن، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبح. وفي الحديث: الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان.»(صليبا، ١٩٨٢: ٤٩٦)«الرؤيا أو الحلم يتمتّعان بدلالة واحدة، والرؤيا عبارة عن نشاط لدوائر في المخ يدركها النائم وهي من عجائب الأمور، وتعبير الرؤيا أو تأويله إنما هو فهم الرؤيا وفك رموزها و من ثمة تطبيق المشاهدات التي سجلها الحالم على الواقع الخارجي للشخص الرائي أو للذي يعبر الرؤيا له.»(رشيد،د.ت: ١١٧و١١٨)

الفرق بين الرؤية الحسّية والرؤيا الشعرية: «الرؤية الحسّية هي مشاهدة مرئية بحاسة البصر العين، في حين أنّ الرؤى الشعرية دلالتها أوسع من ذلك بكثير، فهي تربط بين المرئي واللامرئي، بين الواقع والحلم، إنها قوة انسلاخ، وطاقة كشف، وأداة معرفة تخييلية تعارض المعرفة العقلية والتجريبية.»(على،٢٠١٢: ٢٠)

«لعلّ خير ما نعرف به الشعر الجديد هو أنه رؤيا، والرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة، أن نرى في الكون ما تحجبه عنا الألفة والعادة، أن نكتشف وجه العالم المخبوء، أن نكتشف علائق خفية." يتخذ مفهوم الرؤيا عند أدونيس أبعاداً فكرية وإنسانية، فيقول: "إذا أضفنا لكلمة رؤيا بعداً فكريّاً وإنسانياً، بالإضافة إلى بعدها الروحي، يمكننا حينذاك أن نعرف الشعر الحديث بأنه رؤيا، والرؤيا بطبيعتها هي تغيير في نظام الأشياء، وفي نظام النظر إليها، هكذا يبدو الشعر الحديث، أول ما يبدو تمرداً على الأشكال والمناهج الشعرية القديمة، ورفضاً لمواقفه وأساليبه التي استنفذت أغراضه. يسعى الشاعر الرؤيويّ إلى تجاوز الرؤى السائدة، والكتابات المألوفة، محاولاً في الوقت ذاته إعادة بناء عالم مبتكر، يشمل الكون والإنسان، بل كلّ الوجود»(شكيل، ٢٠١١: ٢٠٢ و ٢٠٣)

شعر الرؤيا قد ركّز على البعد الذاتي في علاقته بالبعد الموضوعي (القومي منه والإنساني). فالحياة قد تغيرت في مضمونها وفي إطارها، وهي تتغير في كل مكان مع الزمن، فكان لابد أن يتغير معها إطارها لفتح المجال أمام الشاعر لكشف أعماقها واكتشاف محسوساتها، وإعادة تشيكلها، وهذا الاكتشاف والتشكيل هو الذي تقدمه رؤيا الشاعر التي تميزه عن غيره. لذلك «فقد أراد الشاعر الجديد أن تكون أدوات تعبيره ووسائله الفنية مرتبطة باللحظة التي يحياها منفصلة عن أية لحظة سقطت في دائرة الماضي»(المجاطي،٢٠٠٢: ١٩٧)

«اقترن مصطلح الرؤيا بالنقد البنيوي التوليدي، وبكل تحليل ينزع إلى التأويل، فيعرف الأثر من ناحية علاقته بالمجتمع الذي ينصهر فيه، وهو ليس انعكاساً شفافاً، بل مجموعة دلالات ممزقة، حيث يلجأ القارئ إلى استعادة تجربة التشكيل لها من خلال تعليق القراءة، فيكون بذلك الكشف عن جوانب الإبداع في النص الشعريّ القائم على دينامية الخيال الشعري التي تربط بين المبدع والمتلقي»(شكيل،٢٠٢٠: ٢٥٩)

١-١-٣. ماهية الأمل

«يُعرّف الأمل في اللغة بالرجاء، ويُستخدم بكثرة بالأمور التي يُستبعد حصولها، وجمعُ كلمة الأمل هي الآمال.»(المعجم الوسيط،٢٠٠٨: ٢٧) و«حالة دافعية موجبة تعتمد على الشعور بالنجاح وطاقة موجهة نحو الهدف والتخطيط لتحقيق هذا الهدف»(صالح، ٢٠١٤: ٤٧)

والأمل هو مجموعة تتكون من قوّة الدافع وقوّة الإرادة التي يمتلكهما الإنسان من أجل أن يبلُغ أهدافه، فأهداف الإنسان هي الخبرة أو النتائج التي يرغب في تحقيقها، فيتكون الأمل من ثلاثة مكوّنات هي: قوة الإرادة، والطاقة الذهنية، فهي الدافع المُحرِك للأهداف التي يطمح الإنسان من أجل الوصول إليها، وخلق المسارات، وهي قدرة الإنسان على إيجاد تلك المسارات من أجل أن تعكس الخطط الذهنية.(ديغم، ٢٠١٩:موقع طب٢١)

١-١-٤. التحفيز (Motivation)

هو العملية التي تبدأ وتوجه وتحافظ على السلوكيات الموجهة نحو الهدف. وهو ما يدفعك إلى التصرف، سواء كان الحصول على كوب من الماء لتقليل العطش أو قراءة كتاب لاكتساب المعرفة. يشمل التحفيز القوى البيولوجية والعاطفية والاجتماعية

والمعرفية التي تنشط السلوك. في الاستعمال اليومي، كثيرًا ما يستخدم مصطلح "الدافع أو الحافز" لوصف سبب قيام الشخص بشيء ما. إنها القوة الدافعة وراء أفعال الإنسان.يعد مصطلح التحفيز واحدا من المصطلحات الأدبية التي لقيت عناية في الدراسات الشكلية خاصة عند كلود شلوفسكي في مقاله (بناء القصة القصيرة)، و بوريس توماشفسكي في مقاله (نظرية الأغراض).فقد عرّف شلوفسكي التحفيز بأنه: اكتشاف الأنساق المختلفة التي تستعمل خلال بناء المبنى (التوازي ، التأطير، التصاعد ،التنضيد ، التشاكل) والتي تقود إلى فهم الاختلاف فيما بين عناصر بنائها والعناصر التي تشكل مادتها : كالمتن الحكائي ، اختيار الدوافع ، الشخصيات ،الأفكار. (توماشفسكي،١٩٨٢، ١٨٠)

٢.نبذة عن حياة الشاعر

«الدكتور طلال سعيد عبدالله الجنيبي (أبوظبي، ١٩٧١ –)، أستاذ جامعي وخبير دولي في السلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، رجل أعمال، أديب وشاعر من دولة الإمارات العربية المتحدة. بدأ نظم الشعر منذ أواخر الثمانينات من القرن الماضي، وشارك في العديد من المناسبات والمهرجانات والتظاهرات الثقافية والأدبية(موقع وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة، طلال سعيد عبدالله الجنيبي). صدرت له تسع مجموعات شعرية وهي: على ضفاف البوح (٢٠١٦م)، على قيد لحظة (٢٠١٧م)، الإمارات في القلب (٢٠١٨م)، زوايا باريسية(٢٠١٨م)، رباعيات الجنيبي (٢٠١٨م)، أراك عكسك (٢٠١٩م)، لإلاك لا لن (٢٠١٩م)، تصطاد ضوءاً (٢٠١٩م) وكآخر من يعود (٢٠٢٠م). أختيرت قصائده للدراسة والحفظ ضمن المناهج التعليمية في الكتب المدرسية لدولة الإمارات العربية المتحدة، وتحّول بعضها لأناشيد وطنية واجتماعية. يتفرد بأسلوب(التوقيع الصوتي) المتفرد في إلقاء قصائده و الذي يعد أحد إبتكاراته المميزة. ترجمت بعض أعماله الشعرية إلى الإنجليزية، الفرنسية، الأوردية، الهندية، الإيطالية، الكردية، الأمازيغية، الفارسية، اليونانية الروسية و الإسبانية.» (موقع وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة، طلال سعيد عبدالله الجنيبي)

٣.الإطار التطبيقي للبحث

٣-١. فاعليّة الحلم ودلالاته فى شعر الجنيبي

طوباوية الحلم هي السعي وراء ما هو المرغوب وليس فقط لمصلحة الفرد، بل يشمل أيضًا مصلحة المجتمع. تتجاوز الطوباوية الرغبات والتطلعات الشخصية البحتة. من هذا الجانب، تشمل الموضوعات المختلفة مثل العدالة والحرية والوعي

العام والإيثار، وما إلى ذلك. تشمل أيضًا الاهتمامات الاجتماعية بالإضافة إلى مصلحة الفرد. يقوم هذا البحث بدراسة موضوعاتية الحلم في رباعيات الجنيبي واتخذ بعض الشواهد الشعرية التي استعمل فيها الشاعر الحلم وأخذها بالفحص والتحليل.

٣-١-١.الموت والبقاء؛ رحلة من الفاني إلى الباقي

مع كل الاختلافات الموجودة بين الشعراء في رؤيتهم ونوع نظرتهم للعالم، من أينما بدأوا، يجتمعون أخيراً في نقطة واحدة،هي قضية الموت ونهاية هذه الحياة. الموت حقيقة يدركها الإنسان في كل لحظة تتحرك الحياة نحو نهاية الطريق وتقترب من الموت. وفقا للقرآن الكريم، الموت ليس نهاية كل شيء، لكنه بداية حياة أغنى من الدنيا ومليئة بعطايا لا تمسها الرذائل في الدنيا.قد امتزجت روح الجنيبي بالمفاهيم القرآنية. واستعمل في تأملاته لمعنى الحياة الموضوعات القرآنية. إنّه يرى العالم على أنه خيال من عقل الإنسان، يمرّ ثم يختفي، وإذا أراد الإنسان أن ينقذ نفسه بعد هذه الحياة فعليه أن يأخذ تقوى الله والأعمال الصالحة خطوة خطوة للوصول إلى تلك الحياة الأبدية:

سينساك ينساك كلُّ البشر

كأنّك طيفٌ بحلمٍ عبَر

سينساك أهلٌ ومالٌ وصحبٌ

ولن يبقَ إلا عناءُ السفر

فخذ للطريقِ من الزادِ خيراً

يعينك عندَ وداعِ البشر

فما أنتَ إلا وجودٌ سيفنى

ومن بعدهِ سوفَ يبقى الأثر

(الجنيبي، ٢٠١٨: ٨)

يتعامل الشاعر في هذه الأبيات من وجهة نظر الحكمة والزهد،والنص يدّل على فلسفة الحياة.الحياة رحلة قصيرة، مهما بدت طويلة لنا، فلا يجب أن نفسدها بأمور هامشية مؤقتة. ويضيف أنك ستموت وسوف تنسى كما كنت مجرد حلم. إعط كل ذي حق حقه ولا تنس حق نفسك، لا تشغل نفسك كثيرا بغير نفسك، واستمتع بيومك ولا تجعل قلقك من غدك يفسد عليك حاضرك. تلذذ بكل جمال ولا تحرم نفسك من طيب الوصال وتذكر أنه لن يبقى منك إلا ما تترك فأحسن ما تعمل وأجعله مما ينفع ويسعد ويبهج. يدلّ الحلم على زوال حياة الإنسان. كأن كل شيء بمثابة حلم وانتهى وذهب. إنتهى كل شيء بسرعة باختصار حياة الحلم. العمر قصير فلا مجال لليأس والصراع، وإنما يكون الأمل هو خير وسيلة في هذه الحياة. ويخاف الإنسان من شيئين وهما طول الأمل واتباع الهوى، لأن اتباع الهوى يبعد الإنسان عن الحق وطول الأمل يجعله ينسى آخرته.لا يختلف هذا الشعر عن هذه الآية المباركة: «قُلْ يَتَوَفَّاكمْ مَلَك الْمَوْتِ الَّذى وُكلَ بِكمْ ثُمَّ إلى رَبِّكمْ تُرْجَعُونَ». (القرآن الكريم، السجدة، الآية ١١) كما جاء في نهج البلاغة: «اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل.»(نهج البلاغة، من الخطبة ٤٢). و«مَن كانَتِ الآخِرَةُ هِمَّتَهُ بَلَغَ مِنَ الخَيرِ غايَةَ أُمنِيَّتِهِ.» (آمدى، ١٩٨٧:٣٩٥: ح ٨٩٠٢)

٣-١-٢. عالم الحلم، عالم الأمل الجميل

طلال الجنيبي صوت شعري مصحوب بالأمل.إنَّ الأمل بالمستقبل الزاهر الطافح بالحيوية والفاعلية هو سلاحه الوحيد. ولولا الأمل والتفاؤل لا تتحقّق الرؤية المستقبلية. يعطي الأمل للإنسان الحيوية والحياة. إن حيوية الجسم تعتمد على حيوية القلب، وحيوية القلب متجذرة في الأمل:

غنيتُك اليوم لا تبكي على صمتي

ولا تبوحي بسرٍّ تاهَ عن وقتي

تلك الأناشيدُ لا تشدو بلا أملٍ

يستلهمُ اللحظةَ الحسناءَ كي تأتي

بعضُ الأحاسيس لا تحيى سوى ألمٍ

كم يجرحُ الروحَ مهما طابَ ما قلتِ

غنيتُك الفجرَ صوتاً باتَ منتشياً

فما سمعتُ سوى أُنشودةِ الصمتِ

(الجنيبي، ٢٠١٨: ١٠)

هذا النص يمثّل مشاعر الشاعر الناعمة واللطيفة. هذه الأغاني الجميلة ممزوجة بالأمل والرغبة ولم تكتب بدونها، وهذا الأمل مأخوذ من اللحظة الجميلة القادمة. ومادام الأمل مفقوداً لا تعلو هذه الأغاني والأناشيد. الأمل هو الأصل الأساسي لحياة الإنسان. والجمال في اللحظة الجميلة هي تلك المساحة الرحبة من الحسن التي لا يمتلك الإنسان حيالها إلا أن يعايش متعتها عبر أحاسيسه ومشاعره وحواسه. لا حد للجمال ولا انقضاء لمعانيه ومضامينه التي تعيش في كل روح وذهن تجربة تفاعل مختلفة تستقر في مساحة الحسن والسعادة. ومتى ما غاب جمال القلب أصبح الجمال الخارجي كائناً مؤقتاً في طريقه للاضمحلال السريع والبقاء حتما لجمال القلب والروح والوجدان والأسلوب.

٣-١-٣. الهروب من الواقع إلى الحلم

الحياة مرحلة نعيش فيها ولا تنتهي في أشخاص أو أماكن معينة. يجب أن نتمسك بأحلامنا ولا ندع بعض الخاسرين ينجحون في تدميرنا لبناء حلمهم على حساب هزيمة الآخرين.والحنين إلى الأهل والديار والأوطان والشوق لصور الفراق وآلام الغربة قد استرعت أذهان كثير من الكتاب والأدباء واهتماماتهم في التراث العربي:

أخذَ الحنينُ هوَاهُ عكسَ مَرابعى

وغدا السؤالُ مُراوغي ومُتابعي

يا أيّها التعبُ المشاكسُ بعضَه

في الصحبةِ العرجاءِ عب ءُ مَواجعي

أتُراك تفهمُ ما الذي صبغَ المدى

برداءِ فكرٍ قطِّعته أصابعي؟

ما أصعبَ الدربَ الذي يمضي بلا

أملٍ يقود إلى سبيلٍ نافعِ

(المصدر السابق: ١٨)

هذه الأبيات تعبير آخر للحلم عند الشاعر فيشكو من الدهر وحنينه وليست الأيام على ما يُرام. من الصعب للغاية أن الشخص يمشي الدرب ولكن ليس له أمل ولا حلم. ذلك الأمل الذي يقوده إلى المنفعة والخير والبركة. وهناك الكثير من الأفراد ولكنهم ميتون لأنهم يعيشون دون أمل. الأمل هو الشعور بالتفاؤل، ويجب دائماً الشعور بالأمل لاستمرار الحياة.ودون الأمل سوف يعيش الإنسان في ظلام طوال حياته. فلجأ الشاعر للحلم تبث فيه وعيه اليقظ بما حوله ويعكس من خلاله حالات اليأس والألم. الواقع عالم اللاتوازن واللااستقرار والنقص والتعب والشاعر يلجأ إلى عالم الحلم المملوء بالسرور والنشوة ومن الصعب جدّاً السير في هذا الطريق دون الأمل والطموح والحلم صار أملاً ودافعاً قوياً نحو التغيير إلى الأفضل.

٣-١-٤. الحلم نحو الخلاص

أصبح الشعر في تجربة الحياة المعاصرة كأحد الوسائط الثقافية مرغوبًا جدًا لتقديم أهداف الطوباويين، لأنّه لا يمكن فهم الأفراد بصرف النظر عن وجودهم الاجتماعي:

خُذني إليك عناقاً لا رجوعَ به

ولا فرارَ إلى لا حيث يَلقاني

هَبني قصيدةَ شوقٍ حارَ ناظمُها

حتى تَبعثرَ في أشلاء إنسانِ

دَعني أدندن ما أحرقتُ مصطحباً

أوتارَ بوحٍ تولت مزجَ ألواني

أوزارُ حُلمٍ توارى خلف غانيةٍ

لم تُتقنِ اللحنَ حتى كاد يَنساني

(المصدر السابق: ٢٥)

يدور الشعر حول مشاعر الحبّ ويريد أن يلتجأ إلى ذراعيه اللامتناهية. كما يريد إعطاء قصيدة من العاطفة الساخنة التي كتبها،طالما هو غير منتشر في أعضاء جسم الإنسان. والشاعر يقول: دعني أهمس بما أحرقته به أوتار البوح تريد دمج ألواني. والبيت الأخير اختبأ الكثير من الأحلام خلف غانية لا تستطيع أداء هذه الأحلام بشكل جيّد حتى كادت أن تنساه.

٣-١-٥. الأمل هو الأخلاق والنقاء

الأمل هو شعور يتملَّك من الإنسان ويمكن وصفه بأنه شعور عاطفي. وهو مجرد إحساس يشعر به المرء لطموحه ورغبته في أمر ما، سواء كان هذا الطموح ناتجًا عن ثقة الفرد بقدرة ربه في تحقيق أحلامه، أو أن الحياة تستحق الأمل وسوف يحدث له كل أمر يرغبه:

أخبرتُها أنَّ سِرَّ الليلِ يَسكنُني

وأنَّ صُبحي نَهارٌ ليس يَنصَرِمُ

وأنّني في هَواها ما غدوتُ أباً

لأنَّ رُوحيَّ كالأطفال تَختَصِمُ

وأنَّني لا ولَن أحيا على حَذَرٍ

ولن يُعَطِلَ موجَ الفكرِ بي أَلَمُ

لأنَّني لَم أعش يوماً على أمَلٍ

يُخالفُ الحقَ أو يَندَى لهُ القلمُ

(المصدر السابق: ٢٩)

نجد هنا تعبيراً آخر عن الحلم. يصف الشاعر نفسه بأنه لم يكن لديه في حياته أي أمل أو حلم يعارض الحق أو أن يدين له بقلم. وأقلامه تكتب الحقائق.يبيّن بأنه قام برسالته وأدّى وظيفته كشاعر ملتزم وحلمه لا يعارض الحق أبداً. وتدّل الأبيات الأخيرة على أنّ إتباع الهوى يعمي عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة وهما مادة كل فساد. الكلمة رسالة وأمانة ومسؤولية، يحاسبك عليها الخالق والزمن والتاريخ، والكلمة التي لا يكون الجانب الإنساني محركها الأسمى تفقد روحها السامية وتخسر قيمتها ومكانتها! بالنسبة للشاعر، فالإنسانية هي هوية الكلمة التي يجب أن يقدمها كل مبدع شريف يحمل قيم الجمال والمحبة والمساواة والتعايش حتى يتسنى لها أن تمخر عباب هذه الأمواج المتلاطمة من الرسائل المظلمة في بحر لجي يعج بالتناقضات ورسائل الكراهية والبغض والعنف والفرقة. لامناص من أنسنة الكلمة في مغزاها لكي يكون للمبدع رسالة أخلاقية ترافق رسائله الفنية التي يمررها عبر نصوصه ونتاجاته وعطائه على العموم.

٣-١-٦. عالم الحلم عالم الأمن والطمأنينة

يلجأ الشاعر إلى عالم الحلم الجميل للبحث عن الأمن والطمأنينة والهدوء وهذا ما نجده في شعر الجنيبي بوضوح:

عُودِي ببَوصَلَةِ الحَنِينِ

إلى مُعَانَقَةِ الشِّتاء

فالبَردُ أقبَلَ دَافِئَاً

والعُمرُ أرهَقَه السُّكون

ما عادَ يَحسَبُ يومَهُ

ما بَاتَ يَختَبِرُ العَنَاء

بَل صَارَ يَسكنُ حُلمَهُ

كالطِّفلِ أشعَلَه الجُنُون

(المصدر السابق: ٤٨)

في هذا النصّ، ينظر الشاعر إلى محيطه بشكل مختلف. هذه الأبيات مزيج من الحب والجنون. يعد الشاعر الرؤيا مأمن أو مأوى لجأ إليه ومقيم فيه مثل الطفل الذي أشعله الجنون. يخاطب حبيبته ويطلب عودته ببوصلة الحنين لكي تحتضن الشتاء والبرد يزداد دفئاً والعمر الذي أتعبه السكون ولم يعد أيامه ويمتحن العناء والتعب بل استقر مع حلمه، مثل طفل أشعله الجنون. الطفل رمز النقاء والبراءة. يجسد الجنيبي مخاوفه عبر استشعار الطفولة والطبيعة، مخاطبا أشعاره ليعود إلى رشده ويفتح عينيه ليرى الوجهة التي يتجه نحوها. يدخل الشاعر في عالم الحلم في البهجة والسرور ويشعر بالأمن والطمأنينة.

٣-١-٧. عالم الحلم عالم اليقظة

تَدَلَّت نَبرَةُ الألمِ المُبَاحِ

عَلَى وَجَعٍ تَنَاغَمَ في جِرَاحِي

ونَامَت كلُ أطرَافِي فلَمَّا

أفاقَ الحُلمُ أفسَدَهُ صَبَاحِي

تَمَادَت رَغبَتِي وتَعَاهَدَتهَا

أهَازِيجٌ عَلَى أمَلِ ارتِيَاحِ

فألقَتني مُمَدَدَةً عَلَيهَا

بلا حولٍ لتعصفَ بي رِياحِي

(المصدر السابق: ٥٥)

في هذا النصّ، الحلم الذي يعبّر عنه الشاعر أفسده الصباح منذ استيقاظه. وحلم الإنسان المستيقظ هو الأمل في تحقيق أهدافه. لقد تجاوز حلم الشاعر وتعاهدت أغاني الرضا والسعادة والراحة. لذا جعلته يستلقي بلا قوة ليهب للريح أطرافه، إن لرياح اليأس قوة لا يمكن وصفها كما أن لجبال الأمل صلابة لا مثيل لها.

٣-١-٨. عالم الحلم عالم التطهير

كم كذبَةٍ نَحتاجُ حتى

نَخنُقَ الألَمَ العَمِيق؟

كم رِحلَةٍ نَجتَازُ حتى

نُدفِنَ الأملَ الأنيق؟

كم قِصَّةٍ نَشتاقُ حتى

نَمتَطِي عُذراً سرى

معَ عَابِرٍ ما اعتَادَ إلَّا

أن يَرى قَلقَ الطَّرِيق؟

كم دَمعَةٍ نَقتَاتُ حتى

نَحتَسي ماءً جرى

مِن قسوَةٍ كم ألهمتها

لوعةُ الجرحِ العَتِيق؟

كم رغبةٍ نَصطَادُ حتى

يَشتفي حُزنُ الأنا؟

كم طعنةٍ نَحتاجُ حتى

نَتَقِي غدرَ الرَّفِيق؟

(المصدر السابق: ٧٤)

في هذا المشهد، يُدفن الأمل والحلم الأنيق في الرحلات المختلفة. كم من رحلات إجتاز الإنسان وما وصل إلى أمنيته وحلمه. «إنّ الحضور الصوفي يظلّ تعبيراً عن توق الإنسان إلى التوازن والغبطة والتحرّر من سلبيات الواقع المعيش وإلى التطهير والصفاء». (هلال، ٢٠١٠: ٨١)

٣-١-٩. عالم الحلم عالم الجنون

يا لِشَوقِ الرُّوحِ حينَ

يَلتَقِي سِحرُ الجَمَال

بالبَهَاءِ الخَصبِ حتى

تَرتَوِي مِنه العُيُون

يَستَفيقُ الحُسنُ فيها

حِينَ يَغشَاهَا طَلَال

كلَّمَا نَادَاهُ وَحيٌ

انتَشَى صَوتُ السُّكون

يستَبَدَ الحُسنُ فيها

يعتَلَى وَقعُ السِّجال

عَبر سَاحَاتِ الأماني

في مَلَاذاتِ الرُّكون

بَعضُنَا يَشتَاقُ أمراً

قد يُجاريه الخَيَال

لَكنِ الأصعَب حلم

يرتدي ثوب الجُنُون

(الجنيبي، ٢٠١٨: ٧٧)

الحلم الذي يرتدي ثوب الجنون أصعب شيء عند الشاعر.«تحمل هاجس الكشف عن عالم برىء حلمي بعيد يتوارى في زيف الوجود ووهم الواقع ولذلك هي رؤيا مستقبليّة تسافر دوماً عبر الخيال والحلم إلى ما وراء الظاهر يبقى نابعاً في ساحة الممكن والاحتمال». (رماني، ١٩٨٨: ١١٠)

٣-١-١٠. عالم الحلم عالم الدهشة والبهجة

ويعبرُنى طائرُ الافتتانِ

ليُلقي بروحي حُلماً شَجِيا

ويَزرعَ حول شِغَافِ الحنانِ

شُعوراً أنِيقا رقيقاً نَقِيا

يحرك كلّ بذورِ المعاني

إلى عالمٍ صَاغَ حُسناً نَدِيا

فيَجتَاحُنى عبرَ تلك الثّوانِى

لِيَصبِح كونُ الشُّعورِ صَفِيا

(الجنيبي، ٢٠١٨: ٨٨)

إن للحلم في هذا النموذج علاقة بطائرة الفتنة وهي تلقى الشاعر لتجميل روحه بالحلم.يحتوي هذا المقطع على رغبات وأحلام الشاعر الملونة. «إنّ صلة الشعر بالعالم المحيط، إذن ليست صلة نثرية عاقلة منطقية، بل صلة الحلم والرؤيا والتوحّد

وصلة الدهشة والافتتان اللذان يعصفان بالقلب والروح ويضفيان على فوضى الأشياء اليوميّة ورتابتها المضجرة نغمة التجانس ونشوة البكارة الأولى».(العلاق، ٢٠١٣: ١٠)

الخاتمة

لا ينتمي الشاعر الإماراتي الدكتور طلال سعيد الجنيبي إلى مدرسة أدبية بل يعوّل على الحالات والتجارب وبالتحديد التجارب الخاصة في إبداعاته الأدبية. الشعر عند شاعرنا هو شعور وما لا يحرك المشاعر ليس بشعر. وتوظيف الحلم والرؤيا فى شعره خاصة في رباعياته وليد العاطفة والانفعال. ونظرته إلى اليوتوبيا الموعودة شاعرية للغاية.السلام والطمأنينة وإنكار العنف والحرية والتفكير الحر والتمسك بالقيم والحفاظ على الهوية الإنسانية هي العناصر المهيمنة والبارزة لطوباوية طلال الجنيبي. قصائد الشاعر هي انعكاس لروحه المثالية لأنه لا توجد فجوة بين شخصية الشاعر وشعره، ويؤمن الناس بمثل هذا الشاعر أكثر. رباعياته هي المدينة الفاضلة للقيم الأخلاقية. إنه يعتقد من أجل تحقيق السعادة والرفاهية، يجب على الإنسان أن يتخلى عن السكون والعودة إلى الوضع الراهن وأن يضع الإحسان والرحمة في مقدمة حياته. في الوقت الذي تمتلئ فيه حياتنا بالمآسي وكلّ القيم الإبداعية ملوثة، فإنه يذكّرنا بالخير ويخفّف من معاناتنا ويجذب أعيننا المتعبة لمشاهدة الجمال.

المصادر:

القرآن الكريم

– آمدي، عبدالواحد تميمي. (١٩٨٧). غرر الحكم ودرر الكلم، المجلد ٥، شرح جمال الدين خوانساري، قم، هيئة الدعاية الإسلامية.

– ابن زكريا، أبي الحسين أحمد بن فارس. (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، الجزء الأول والثاني، تحقيق عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر.

– ابن منظور الأفريقى المصري، محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى، القاهرة، دار المعارف.

– حميدى، سيد جعفر وشاميان، اكبر. (٢٠٠٥). تمثيل الرؤيا في الشعر الإيراني المعاصر، مجلة الدراسات الأدبية، جامعة تربيت مدرس، العدد ٩ و ١٠، ١١١–١٢٦.

– حليم، رشيد. تأويلية الخطاب الحلمي وتجلياتها في النص المعجز، قراءة تداولية لصور من متغيرات دوال الرؤيا، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعي قاصدي مرباح – ورقلة، ١٠(١٢)، ١١٢–١٢٦.

– الجنيبي، طلال سعيد. (٢٠١٨). رباعيات الجنيبي، الإمارات العربية المتحدة، أبوظبى.

– الرضي، الشريف. (٢٠١٠). نهج البلاغة، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطّار، الطبعة ١، قم، مؤسسة الرافد للمطبوعات.

– رماني، إبراهيم. الغموض في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد اللغة والأدب العربي، للعام الدراسي ١٩٨٧–١٩٨٨، جامعة الجزائر، الجزائر.

– سيلامي، نوربير. (٢٠٠١). المعجم الموسوعي في علم النفس، الجزء الثاني، ترجمة وجيه أسعد، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

– الشكلانيون الروس. (١٩٨٢). نظرية المنهج الشكلي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية .

– شكيل، عبد الحميد. (٢٠٢٠). الرؤيا الجمالية للمرأة وتجلياتها في الكتابة الصوفية بين فعل الخيال وجمال التخيل، مجلة مفاهيم الدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، ١(٧) جامعة زيان عاشور، الجلفة.

– _____. (٢٠١١). الرؤيا البرزخية عند أدونيس (المنطلقات الوجودية والأبعاد الجمالية)، مجلة التواصل في اللغات والثقافة والأدب،جامعة باجي المختار – عنابة، ١٧(٣)، ٢٠١–٢١٣.

– صالح، على عبد الرحيم. (٢٠١٤). المعجم العربى لتحديد المصطلحات النفسية، الطبعة الأولى، عمان، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع.

– صليبا، جميل. (١٩٨٢). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، الجزء الأول، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

- العلاق، علي جعفر. (٢٠١٣). حداثة النص، الطبعة الأولى، عمان، دار فضاءات للنشر والتوزيع.

- علي، مصطفى صالح. (٢٠١٢). الإبداع بين الرؤية الحسية والرؤيا الشعرية في كتاب «مغاني المعاني» للرازي، مجلة كلية اللغات، جامعة بغداد، العدد ٢٥، ١٨-٤١.

- الغامدي، حنان عبدالله سحيم. (٢٠١١). آليات تشكيل الحلم في الرواية النسائية السعودية١٩٩١- ٢٠٠٣م التحفيز نموذجاً تطبيقياً، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

- المجاطي، أحمد المعداوي. (٢٠٠٢). ظاهرة الشعر الحديث، البيضاء، شركة النشر و التوزيع المدارس.

- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. (٢٠٠٨). الطبعة ٤، مكتبة الشروق الدولية.

- هلال، عبد الناصر. (٢٠١٠). الشعر العربى المعاصر: انشطار الذات وفتنة الذاكرة، بيروت، دار العلم والإيمان.

المواقع:

- الحسن، الوارث. تجديد الرؤيا الشعرية في الشعر العربي الحديث بين المفهوم والإبداع / صحيفة المثقف، تاريخ النشر: ٢٠١١/٦/٥م، العدد ١٧٧٩، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٩/١١م والعدد: ٥٤٨٥.

https://www.almothaqaf.com/qadayaama/qadayama-09/49611-2011-06-05-02-14-12

-ديغم، عبد المحسن ابراهيم. "تعريف الأمل"، تاريخ النشر: ٢٠١٩/١٢/١٥، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٩/١٦:

https://teb21.com/article/definition-of-hope -

-طلال سعيد عبدالله الجنيبي، الموسوعة الوطنية الثقافية، الإمارات العربية المتحدة، وزارة الثقافة والشباب، تاريخ النشر : ٠٢ مايو، تاريخ الاطلاع: ٢٠٢١/٩/١٦:

https://nce.gov.ae/ar/article/1427